

السيطرة على رأس المال





Reuters

عن المؤلف



توم جودفيلو _ ديفيد جاكمان

توم جودفيلو أستاذ الدراسات الحضرية والتنمية الدولية في جامعة شيفيلد. تركز أبحاثه على الاقتصاد السياسي * المقارن للتنمية الحضرية في إفريقيا، لا سيما سياسات الأراضي الحضرية والنقل، والصراعات حول البنية التحتية والإسكان، والهجرة، والتغيير المؤسسي الحضري. وله عدد من المؤلفات.

* ديفيد جاكمان زميل أبحاث ليفرهولمي في الحياة المهنية المبكرة في جامعة أكسفورد. تركز اهتماماته البحثية على الاقتصاد السياسي للجريمة والعنف في جنوب آسيا، مع التركيز على بنغلاديش؛ حيث يعمل منذ عام 2010

- المدن في جميع أنحاء العالم كانت تنبض بالاحتجاجات في عام 2018

تأليف: توم جودفيلو وديفيد جاكمان

عرض وترجمة: نضال إبراهيم

في ظل صعود التوجهات الاستبدادية، وتراجع الديمقراطية في عالمنا اليوم، يبرز دور المدن كمحاور مفصلية في هذا التحول. تعد المدن «حاويات» لرأس المال والسيادة، ما يعزز دورها في بناء الهيمنة الاستبدادية. يتناول هذا الكتاب معرفة كيفية استخدام الأنظمة الاستبدادية، استراتيجيات متعددة؛ لتعزيز هيمنتها في المدن، ومواجهة المقاومة السياسية الحضرية.

يشهد العالم صعوداً في التوجهات الاستبدادية، وانحداراً ديمقراطياً، مقارنة بتعزيز الديمقراطية في السنوات الأخيرة. وكان هذا يحدث بالتزامن مع معدلات غير مسبوقه من التحضر في أجزاء كثيرة من العالم، الأمر الذي يثير تساؤلات حول الدور الذي تلعبه المدن، التي تعد في الأغلب النقاط المحورية لتعميق الديمقراطية، في هذا التحول الاستبدادي. يطرح الكتاب أسئلة عديدة؛ مثل: ما الدور السياسي الذي تلعبه المدن، وخاصة العواصم في السياقات الاستبدادية المعاصرة؟ كيف تمنع بعض الأنظمة الاستبدادية، الاحتجاجات الحضرية من الحدوث في المقام الأول؟ ما أدوات القوة التي يسيطرون عليها خارج نطاق الإكراه؟ ما الدور الذي تلعبه أشكال القمع والتلاعب بقوى المعارضة على المدى الطويل؟ كيف تتمكن بعض الأنظمة من استمالة نسب كبيرة من سكان المناطق الحضرية – أو حتى إقناعهم بشرعيتها – حتى مع تزايد ممارساتها الاستبدادية؟

يتناول الكتاب هذه الأسئلة، ويأمل بذلك أن يعاين كيفية سعي الأنظمة الاستبدادية إلى السلطة والمحافظة عليها، ومكانة المدن في هذه العمليات في أوائل القرن الحادي والعشرين. يتضمن الكتاب الصادر عن مطبعة أكسفورد 2023 باللغة الإنجليزية ضمن 272 صفحة، مجموعة متنوعة من الحالات عن الأنظمة الحاكمة التي حاولت في الآونة الأخيرة، بناء الهيمنة الحضرية، وفشلت بشكل كبير، إضافة إلى تلك التي تمكنت من التمسك بالسلطة من خلال استراتيجيات الهيمنة المتطورة باستمرار، والتي تحد من احتمالية تحول المعارضة الحضرية إلى السلطة، وإسقاط النظام. يركز الكتاب على

مدن عالمية عديدة، ليوضح العلاقة بينها وبين الهيمنة السياسية. كما يقدم مناقشات عن الاستبداد واستمرارية الاستبداد، والتحضر، والتنافس السياسي والمقاومة، وسياسات التنمية، وآفاق الديمقراطية

مدن تضحّ بالاحتجاجات

يقول المؤلفان: إنه في عام 2018، عندما تم تصور فكرة المشروع البحثي المؤدي إلى هذا الكتاب، كانت المدن في جميع أنحاء العالم تنبض بالاحتجاجات. وفي أوروبا، شهدت فرنسا بداية حركة «السترات الصفراء»، وشعرت إسبانيا بالأزمة الدستورية في كتالونيا، وبدأ الطلاب على المستوى الدولي في الإضراب عن المدارس، استجابة لأزمة المناخ وغريتا ثونبرغ. وفي الوقت نفسه، شوهدت اضطرابات كبرى في شوارع إيران، وأغلق الطلاب معظم أنحاء العاصمة البنغلاديشية (دكا)، وشهدت نيكاراغوا صعود حركة جامعية، رداً على ظلم الدولة. وشهدت أرمينيا والسودان ثورة، في حين شهدت إثيوبيا وصول نظام جديد إلى السلطة، بعد سنوات من الاضطرابات في جميع أنحاء البلاد. وهذه مجموعة من الحالات على سبيل المثال لا الحصر

ويضيفان: وعلى الرغم من حجم هذه الاحتجاجات، فإن عام 2018 كان غير استثنائي من نواحٍ عدة. وقعت هذه الأحداث على خلفية الاضطرابات التي شهدتها كل من شمال إفريقيا والشرق الأوسط بشكل عام في ما يُسمى بـ«الربيع العربي» قبل سنوات عدة، وشهدت الفترة منذ ذلك الحين، احتجاجات كبيرة حتى في مواجهة فيروس «كورونا»، وأحياناً رداً عليها. سلّطت عمليات الإغلاق التي فرضتها جائحة «كورونا»، ضوءاً جديداً على وحشية الشرطة في أجزاء كثيرة من العالم؛ دفع استمرار الاحتجاجات بعض المعلقين إلى الادعاء بأننا نعيش في عصر «الاحتجاج الجماهيري»، الذي يدور بشكل أساسي في شوارع المدن والبلدات. إن القضايا التي تثيرها هذه الحركات متنوعة ومعقدة، إلا أنها تعكس بشكل عام، القلق إزاء تفرغ المؤسسات الديمقراطية، والشعور بالاستبداد الزاحف. في بعض الحالات، اتخذت الاستجابة لـ«التحول الاستبدادي» الأخير، شكل قيام المواطنين في الدول الديمقراطية نسبياً، برفع أصواتهم، والتعبير عن غضبهم، لعدم الاستماع إليهم من قبل الحكومات التي يعدونها نخبوية، ومنعزلة، وبعيدة كل البعد عن المخاوف والاحتياجات المعاصرة. وفي حالات أخرى، تأتي انفجارات المظالم هذه، استجابة لإغلاقات أكثر دراماتيكية للفضاء الديمقراطي.

إنتاج الممارسات الاستبدادية

إن الاستبداد ليس أمراً جديداً، وكذلك الجدل بين محاولات تأمين الهيمنة السياسية والطرائق المختلفة التي يتم من خلالها مقاومة ذلك. ومع ذلك، اتسم أواخر القرن العشرين بتفاوت واسع النطاق، بشأن آفاق التحول الديمقراطي التقدمي على مستوى العالم – وبحسب بعض الروايات، فإن عملية التحضر التي تتكشف في أغلب أنحاء العالم، يجب أن تدعم هذا الترسخ للديمقراطية، لكن في الواقع، اتسم أوائل القرن الحادي والعشرين بإعادة تأكيد الاستبداد، وانتشار الحكم الهجين أو «شبه الاستبدادي». وفقاً لمؤسسة «فريدوم هاوس» (2021)، كانت الديمقراطية في تراجع على مدار الـ15 عاماً الماضية وهي «تحت الحصار». وقد تفاقم هذا الاتجاه بسبب «كوفيد-19»، الذي كشف بالنسبة للبعض عن نقاط ضعف في الاستجابات الديمقراطية للوباء، وأتاح فرصاً للتحركات الاستبدادية؛ للسيطرة على حياة المواطنين

بشكل أكثر إحكاماً. ربما لا ينبغي لنا أن نندهش من حقيقة؛ مفادها أن التحضر، والميول الاستبدادية، والاحتجاجات السياسية القوية، تتسارع في وقت واحد في أجزاء كثيرة من العالم. على الرغم من وجود أسباب عديدة للاعتقاد بأن التحضر والديمقراطية يجب أن يعزز كل منهما الآخر، فإن الأبحاث الحالية حول العلاقة بين الاثنين محدودة للغاية، والأدلة محل خلاف.

يرى المؤلفان في الفصل الأول من الكتاب، أن نفس العوامل التي تساعد في تفسير الميول الديمقراطية المرتبطة بالمدن - وهي الكثافة السكانية والتنوع، وزيادة إمكانية العمل الجماعي، ومستويات التعليم الأعلى بشكل عام - في الأغلب تنتج أيضاً جهوداً للسيطرة على المدن من خلال الممارسات الاستبدادية. ومن ثم، فمن غير الواضح على الإطلاق ما إذا كان التحضر، ينتج الديمقراطية على المدى القصير إلى المتوسط، حتى لو كان يميل إلى ذلك على المدى الطويل. وفي الوقت نفسه، فإن التوسع الحضري في معظم أنحاء العالم، تصاحبه مجموعة من الاستراتيجيات الاستبدادية من جانب القادة الذين يسعون إلى درء تهديد الديمقراطية. يعود هذا التوتر بين الدافع الديمقراطي الحضري والرغبة الاستبدادية للسيطرة على المدن من الأعلى للأسفل إلى آلاف السنين. ما يختلف في القرن الحادي والعشرين، هو الحجم الهائل للمدن، ووتيرة نموها في أجزاء كثيرة من العالم، وكسر الرابط بين التحضر الجماعي، وتوليد الفرص الاقتصادية الحضرية. وفي هذا السياق، في الأغلب يؤدي الصدام بين الدوافع الديمقراطية والاستبدادية في المدن إلى تصعيد العنف السياسي الحضري.

ويقول المؤلفان: لقد قيل إن العنف، على المستوى العالمي، أصبح أكثر حضرية بشكل ملحوظ، وتحولنا من «حروب الفلاحين في القرن العشرين» إلى «حروب المدن» و«حروب الأحياء الفقيرة» في القرن الحادي والعشرين. وكما يقول أحد المعلقين: «أصبحت المناطق الحضرية بمنزلة موصلات للصواعق للعنف السياسي على كوكبنا». وفي سياق التغيرات الديموغرافية السريعة، برزت المدن الكبرى كمواقع رئيسة تدور فيها الصراعات حول شرعية الأنظمة وبقائها، وتسعى حركات المعارضة إلى الحصول على الدعم والنفوذ. أصبح كل هذا أيضاً واضحاً بشكل متزايد؛ حيث تتيح وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الأخرى تغطية فاعلة وواسعة النطاق للأحداث والتظاهرات والعمليات الانتقامية

تأثير النخب السياسية

يحدد الفصل الثاني مجموعة من الاستراتيجيات التي تستخدمها النخب السياسية في محاولاتها للهيمنة. على وجه الخصوص، تم اقتراح طريقتين متشابهتين للتدخل: تلك التي تكون توليدية حسب التصميم والقمعية حسب التصميم. ثم يقدم الفصل تصنيفاً للاستراتيجيات التي تتقاطع مع مجالات التدخل هذه، ويعاين مجموعة من الأدبيات ذات الصلة التي استكشفت هذه المجالات في سياقات متنوعة. وتشمل: الاستقطاب، وإضفاء الشرعية على الخطابات، والمناورات القانونية، والتوزيع القسري، والإكراه العنيف. وهكذا يقدم الفصل طريقة لتناول دراسة السيطرة السياسية في العواصم

ويعاين الفصل الثالث السياسات المثيرة للجدل في العاصمة الأوغندية (كمبالا) في ظل حركة المقاومة الوطنية بقيادة يوري موسيفيني، وكيف ظلت كمبالا، على الرغم من سيطرة حركة المقاومة الوطنية على السلطة لمدة ثلاثة عقود ونصف العقد، بعناد، مصدراً لدعم المعارضة. وقد طورت حكومة موسيفيني مجموعة من الاستراتيجيات؛ للسيطرة على المدينة، بدءاً من المناورات القانونية إلى اختراق العمال غير الرسميين في المناطق الحضرية، ومغازلة شباب المناطق الحضرية؛ ومع ذلك، فقد وُلد هذا وضعاً لا يستطيع فيه الائتلاف الحاكم ولا قوى المعارضة، السيطرة بشكل

أما الفصل الرابع، فيتناول سياسة السيطرة على أديس أبابا، عاصمة إثيوبيا، في ظل نظام الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية الإثيوبية. وبدراسة الفترة ما بين 2005 و2018 على وجه الخصوص، يشرح الفصل هيمنة الحزب المتجذرة في تطلعاته التنموية وتدخلاته الخالقة، على خلفية القمع الشديد

يعاين الفصل الخامس الهيمنة السياسية لدكا في ظل حكومة رابطة عوامي الحالية. كانت عاصمة بنغلاديش منذ فترة طويلة في قلب الاضطرابات السياسية، وموقعاً للانقلابات والاحتجاجات الجماهيرية، والمواجهات السياسية الحزبية العنيفة في كثير من الأحيان. ومع ذلك، منذ عام 2015، فشل الحزب الوطني البنغلاديشي المعارض إلى حد كبير في تعطيل المدينة، وحقق الحزب الحاكم درجة غير مسبوقه من السيطرة

يتتبع هذا الفصل هذا التطور إلى تمكين وكالات الأمن الداخلي والأشكال الجديدة من المراقبة، التي أدت إلى تآكل المعارضة التي استنزفت صفوفها أيضاً، بسبب تراجع رجال العصابات في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وتقع المدينة أيضاً في قلب حملة يشنها الحزب الحاكم لتصوير نفسه مصدراً للتنمية والازدهار

استراتيجيات بين القمع والاستقطاب

يتتبع الفصل السادس كيفية سعي الجبهة الوطنية للسيطرة على عاصمة زامبيا «لوساكا» خلال فترة ولايتها بين عامي 2011 و2021، بعد جهد ناجح للغاية لبناء الدعم الحضري منذ عام 2006. كانت لفترة طويلة موقعاً لاضطرابات سياسية كبرى، وأصبحت ذات أهمية خاصة كقاعدة للجبهة الوطنية

يتناول الفصل السابع سياسات محيط هراري. ويرى أنه بدلاً من النظر إلى العواصم باعتبارها متجانسة، علينا أن نكون منتبهين للأهمية السياسية لمساحات محددة، ونحتاج إلى تقدير كيف يمكن تشكيل السلطة السياسية بشكل متبادل من.. «قبل النخب الحاكمة والمجتمعات الحضرية داخل مناطق معينة» «مُهيمن عليها

ويركز الفصل الثامن على سياسة عاصمة سريلانكا (كولومبو) في سياق صعود وحكم الأخوين راجاباكسا خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين. يقول المؤلفان: كولومبو هي مدينة أخرى ذات ميول معارضة، والتي كانت في كثير من النواحي هامشية للهيمنة السياسية للأحزاب الحاكمة عبر تاريخ البلاد، باستثناء كونها تعد موقعاً للمشهد. في عهد راجاباكسا، أصبحت موقعاً للتجميل المستهدف سياسياً؛ بهدف التحدث إلى الطبقات الوسطى البوذية السنهالية الجديدة في الضواحي. هنا، أصبحت التنمية الحضرية منظمة في إطار وزارة الدفاع والتنمية الحضرية التي تم إنشاؤها حديثاً؛ حيث تم إعادة توجيه القدرات العسكرية التي بنيت من عقود من الصراع المدني نحو إعادة التنمية الحضرية المشحونة سياسياً. ومن الواضح أن هذا حقق مكاسب سياسية في الضواحي الحضرية، كما يتضح من خطة جوتابايا راجاباكسا

يجمع الفصل التاسع هذه الحالات معاً، لتقديم بعض الأفكار الأوسع حول طبيعة الاستبداد والهيمنة السياسية في سياق العواصم في إفريقيا وجنوب آسيا. ويعود إلى السؤال عن سبب أهمية المدن الكبرى من الناحية السياسية، وكيف

يختلف ذلك اعتماداً على الجغرافيا السياسية، قبل النظر في دور المساحات والمؤسسات والتحالفات في استراتيجيات السيطرة الحضرية.

عن المؤلفين

توم جودفيلو أستاذ الدراسات الحضرية والتنمية الدولية في جامعة شيفيلد. تركز أبحاثه على الاقتصاد السياسي * المقارن للتنمية الحضرية في إفريقيا، لا سيما سياسات الأراضي الحضرية والنقل، والصراعات حول البنية التحتية والإسكان، والهجرة، والتغيير المؤسسي الحضري. وله عدد من المؤلفات

ديفيد جاكمان زميل أبحاث ليفرهولمي في الحياة المهنية المبكرة في جامعة أكسفورد. تركز اهتماماته البحثية على * الاقتصاد السياسي للجريمة والعنف في جنوب آسيا، مع التركيز على بنغلاديش؛ حيث يعمل منذ عام 2010

الصورة



ترجمة وعرض:

نضال إبراهيم